# جاسوسات عاشقات
## خلدهن الحب وحقرهن التاريخ

مكتبة الجاسوسية

مكتبة الجاسوسية

مكتبة الجاسوسية

مكتبة الجاسوسية

مرجريت تسيليه

آن بيلين مونتيز




فريد الفالوجي



# جاسوسات عاشقات

## هذه السلسلة

- محاولة دائبة لسبر أغوار النفوس المريضة التى تهوى بأصحابها إلى مستنقعات الخيانة.
- تحليلات مستفيضة لكل الأحداث والمواقف ، تكشف الغموض وتظهر النوايا الخفية فى كل تصرف للشخصية المعنية.
- استقصاء شامل لجميع المستندات والملفات للوصول إلى كبد الحقيقة، بعيداً عن الاجتهادات والتأويلات والافتراضات غير المثبتة بالدليل القاطع.
- عمل جاد وجهد شاق لفضح هذه الفئة الضالة من النساء التى أغواها الشيطان، وبعن وطنهن وغدرن بأهلهن..فحل عليهن العقاب الشديد، والتصق بهن العار إلى الأبد.

مرجريت.. هولندية الأصل.. تميزت بجمال نادر، جذب إليها مئات المعجبين ولكنها أجبرت على الزواج من ضابط اسكتلندى الأصل وعاشا معاً فى أندونيسيا، ولكنها كرهته لسوء سلوكه، فابتعدت عنه واحترفت الرقص وهى المهنة التى تنقلت بها عبر عواصم أوروبا واشتهرت باسم «ماتا هارى»، وقد استغلها الألمان فى الحرب العالمية الأولى لتتجسس لصالحها، بالرغم من اعتقادها بأنها تقدم خدماتها للفرنسيين، وحوكمت فى فرنسا، وتم إعدامها.. وشاءت الأقدار أن تتبع ابنتها نفس منهج الخيانة، فأغوت الضباط اليابانيين فى أندونيسيا مما أحرج اليابان، ثم عادت لتتجسس ضد بلدها الأصلى هولندا، ثم قبض عليها فى كوريا وحكم عليها بالإعدام..!

آن بيلين : كانت تعمل فى منصب حساس فى الاستخبارات الأمريكية، وكان تحت يديها ملف «كوبا»، ولكنها أحبت شاباً كوبياً فجعلها تتجسس لصالح بلاده ضد حكومتها الأمريكية ولم يكن تجسسها من أجل الجنس أو المال ولكنها كانت عاشقة للزعيم الكوبى كاسترو، فباعت وطنها من أجله.. وحكم عليها بالسجن لمدة ٢٥ عاماً.. جزاء خيانتها وإيقاع الضرر ببلادها..

النَّاشِر






ISBN 977-399-042-7

## مَكتَبة الجاسُوسِيَّة

# جَاسُوسَات عَاشِقَات
# خلدهنَّ الحبُّ وحقرهنَّ التاريخ

## مرجريت تسيليه
## آن بيلين مونتيز

فريد الفالوجي




رئيس مجلس الإدارة
عادل المصرى

عضو مجلس الإدارة المنتدب
حسام حسين

مستشار النشر
أحمد جمال الدين

رقم الإيداع
١٨١١٩ / ٢٠٠٥

الترقيم الدولى
٩٧٧ - ٣٩٩ - ٠٤٢-٧

الطبعة الأولى

الجمع والإخراج الفنى
«مكتبة ابن سينا»
ت : ٦٣٧٩٨٦٣ ف : ٦٣٨٠٤٨٣

مطابع العبور الحديثة

الكتاب : جاسوسات عاشقات
المؤلف : فريد الفالوجى
الغلاف : للفنان إلهامى عزت
الناشر : أطلس للنشر والإنتاج الإعلامى ش.م.م
٢٥ ش وادى النيل - المهندسين - القاهرة
E-mail:atlas@innovations-co.com
تليفون : ٣٠٢٧٩٦٥ - ٣٠٣٩٥٣٩ - ٣٤٦٥٨٥٠
فاكس : ٣٠٢٨٣٢٨


* * * *

# المقدمة

إن المرأة عندما تحب بصدق.. وبكل ما لديها من عاطفة جياشة رائعة.. تمنح الحبيب دفقات متتالية من نهر الحب العظيم.. تحيل حياته إلى جنات من الصفو اللذيذ.

ويسوق لنا التاريخ حكايات عن نساء بعن الوطن من أجل الحب.. ولم يندمن وهن ينزوين بين جدران الذبول والنسيان.. أو حتى وهن معصوبات الأعين ومكبلات فى طريقهن إلى الموت فى غُرف الإعدام.

فالمرأة عندما تكتشف فجأة، أن حبيبها ما هو إلا جاسوس محترف، خدعها فى مشاعرها طوال سنوات من الحب المغشوش، ترتج حياتها كلها فى لحظة تسحب من جذور مشاعرها.. لتصل بها إلى صراع مجنون قد يدمرها تماماً.. ويكون رد فعلها عندئذ أكثر جنوناً ودهشة.

إنه صراع فتاك ليس من السهل أن تتحمله امرأة أحبت، وأعطت كل ما لديها لحبيب خائن غدار.. صراع يدفع بها إلى منعطفات حادة مهلكة أحياناً.. فهى إما أن تغمض عينيها وتمسك

أنفاسها لكى تختار الحبيب وحده.. أو تختار الوطـن وبذلـك تسلم حبيبها إلى الموت.

وقد ذكر لنا التاريخ أمثلة لا حصر لها، لنساء وطنيات فضلن الوطن فوق أى اعتبار.. وأسهمن بإخلاص فى المحافظة علـى أمنـه وسلامته..

وهذه السلسلة مـن (جاسوسات عاشقات .. خلدهـن الحب وحقرهن التاريخ) تتناول سيرة بعض الجاسوسات الخائنات اللائى انصرفن عن كل مُثل فى سبيل الحب والمتعة.. وقد نبـذن الشرف والفضيلة والانتماء من حياتهن.

وفى قصتنا هذه .. سنتعرض لحياة أشهر جاسوسة حظيت من الشهرة ما يفوق الوصف، إنها ماتا هارى، التـى دخلت التاريخ مـن أوسع أبوابه، وكذلك ابنتها باندا التى لقيت مصير أمها نفسه.

كذلك سنتعرف علـى قصة آن مونتـيز الأمريكيـة التـى باعت أسرار بلدها تعاطفاً مع شاب كوبى مجهول أحبته.!!

فريد الفالوجي

القاهرة ـ مدينة نصر

# مرجريت تسيليه

ولدت هولندية .. وتزوجت من ضابط اسكتلندى الأصل .. عاشت معه فى أندونيسيا .. ومارست التجسس فى باريس وبرلين ومدريد ، واعتقلت فى لندن .. ثم أعدمت فى باريس لتطير شهرتها إلى الآفاق .. كما طارت شهرة ابنتها التى لاقت مصير أمها وهو الإعدام بالرصاص !!

# عين الصباح

[ فى حياتها كانت «تحفة» جمالية مكشوفة مرغوبة، وفى ساعة موتها كشفت جسمها عاريا لجلاديها. وبعد موتها كشفت دلائل حيرت قضاتها ومُدينيها، وأحزنت عشاقها ومن حاولوا عبثا «اختطافها» من الموت بخدع وخطط غريبة طريفة، وهم كثيرون[١] ].

ولعلها أول جاسوسة فى العالم انتهت حياتها بالإعدام رميًا بالرصاص .. لكن المؤكد أنها أول جاسوسة كانت نهاية ابنتها الوحيدة كنهايتها .. رميًا بالرصاص أيضًا .

إنها .. أشهر جاسوسة أوروبية خلال الحرب العالمية الأولى.. ولدت هولندية باسم (مرجريت جيرتراود تسيليه[٢]) .. وتزوجت من ضابط ينحدر من أصل اسكتلندى عاشت معه فى إندونسيا ، ومارست تجارة التجسس الجنسى فى برلين وباريس ومدريد ، حتى اعتقلت فى لندن ، وأعدمت فى باريس .

---

(١) الجاسوسية والإرهاب ـ فؤاد شاكر، الدار المصرية اللبنانية، الطبعة الأولى ٢٠٠٥.
(٢) جاء اسمها فى بعض المصادر هكذا: (مرجريتا جيرترويدا زل)، واعتقد بأن هذا التحريف فى نطق وكتابة اسمها راجع للاعتماد على مصادر إيطالية وأسبانية.!!

وبذلك شكلت حياتها المثيرة العجيبة، منظومة متعددة الجوانب فاقت حدود الوصف ، مما استدعى إنتاج فيلم سينمائى عنها فى هوليوود .

فمن أين نبدأ..؟

ومن أين نمسك أولى خيوط القصة..؟

أتصور أن البداية الأوقع أثرا تكون منذ لحظة الميلاد حتى المراحل العمرية بأحداثها المختلفة..

وهذا ما سنعمل به.!

فى السابع من أغسطس سنة ١٨٧٦، وعلى بعد خمسة أميال إلى الجنوب من لاهاى ، ولدت (مرجريت) فى مدينة دلفت Delft، التى تعد من أكثر مناطق هولندا جمالاً وسحرًا ، حيث تشتهر ببواتها الشرقية العريقة التى يعود تاريخها إلى القرن الرابع عشر ، وبقنواتها وجسورها وبيوتها المبنية على النمط الأوروبى التقليدى ، وشهرتها العالمية فى صناعة الفخار المعروف باسم (دلفت بلو ) .

لم تكن مرجريت تسيليه تهتم كثيرًا بالتعليم قدر اهتمامها بجمالها الأخاذ .

لذلك، فقد ارتبطت بعلاقات حميمة خاصة بعيدة عن علاقات الحب والرومانسية المغرقة التى كانت واسعة الانتشار وقتذاك ، مما أكسبها خبرة عالية فى التعامل مع الرجال وإخضاعهم لرغباتها .

وعندما تقدم إليها ضابط هولندى يدعى (رودلف ماكلويد) لم تسترح إليه منذ اللحظة الأولى، فعاملته بجفاء شديد .. لكنها تحت الضغوط الأسرية وافقت على الزواج منه ، فانتقم لكرامته منها بعد الزواج وانتقالها للإقامة معه فى أمستردام Amsterdam، حيث دأب على ضربها بقسوة.

وكان ينقلب فى الليل إلى وحش كاسر غالبًا ما يترك أثار ضرباته وتعذيبه على جسدها ، حتى أنه ذات يوم كبلها بالحبال وأخذ يضربها بلارحمة لمدة سبع ساعات ، مذكرًا إياها بمواقفها منه قبل الزواج .

سنوات وسنوات ومعاملة الزواج القاسية لا تتغير ، فإن لم يكن هناك ضرب مبرح فهناك إهانة ليس لها من حدود، وظنت أن بانتقالها معه إلى جزيرة جاوة ، حيث يعمل هناك كضابط مستعمرات ، ستتغير معاملته لها.

لكنه ازداد توحشًا وعنفًا وقسوة، بالرغم من إنجابهما الطفلة

الأولى والأخيرة، والتى أطلقا عليها اسماً محلياً هو (باندا)، أى (زهرة عباد الشمس) التى كان اسمها الحقيقى هو: «مارى لويز ماكلويد».

ومع تزايد قسوته وعنفه، هربت منه مرجريت وتركت معه ابنتها، واضطرت لكى تنفق على نفسها إلى احتراف الرقص الوطنى ، بل وابتكرت لنفسها رقصات مثيرة ، وأطلقت على نفسها اسمًا من أسماء بنات الملايو وهو : (ماتا هارى ) .. أى : ( عين الصباح ).

## حياة شقية

بيد أن هناك رواية أخرى تقول:

ـ (نشأت مارجريتا طفلة فى بيت محافظ شديد التدين، فأدخلها أبواها أحد الأديرة الكاثوليكية عندما بلغت سن الرابعة عشرة وبعد أربع سنوات ـ وكانت لا تزال بسيطة بريئة عفيفة ساذجة ـ سافرت لقضاء أيام عطلة فى مدينة «لاهاى» The Hague، فالتقت بالكابتن «رودلف ماكلويد» اسكتلندى الأصل فارع الطول أنيق رشيق، وكان محارباً بالجيش الهولندى فى شرق الإنديز.

تعارفا، وتجاذبا، فتزوجها وإن كان يكبرها بأكثر من ضعف سنها. إذ كان فوق الأربعين.

فكان تناقضاً واضحاً بين الطرفين. هى ببساطتها، وحداثتها، وتدينها، وتحفظها، وضآلة خبرتها بالناس والحياة، وهو بكبر سنه، ونضجه، وخبرته، وماضيه، وحاضره المسرف فى الشراب ومغازلة النساء.

اصطحبها عقب الزواج إلى جزيرة جاوا فى أندونيسيا وكانت تستعمرها هولندا.

وهناك، ظهر على حقيقته من سوء السلوك وخشونة المعاملة: صفع وركل وضرب وسب وإهانة، وتهديد بمسدس محشو بالرصاص أكثر من مرة، وخيانة مستترة ومكشوفة مع نساء أخريات. وكل ذلك قبل مولد طفلهما الأول «نورمان» ، وبعد مجئ الطفلة الثانية «نون[1]».

لكنها فى غمرة هذا البلاء والشقاء، وجدت لديها بقية من رغبة وفائضاً من وقت لكى تطالع جيدا ـ مرات ومرات ـ كتاب «الفيدا[2]»، وكتبا أخرى من التراث القديم تمجد الاستمتاع الجسدى، وتجعل من النشوة الجنسية سبيلاً إلى التطهير النفسى والاتزان الداخلى.

كما أعرضت عن مطالعة كتب «بوذا» عندما رأت أنها لا توافق

---

(١) نون: اسم آخر للابنة «باندا» التى لاقت مصير أمها فيما بعد.
(٢) الفيدا: كتاب الهنود القدماء المقدس وهو مكتوب باللغة السنسكريتية التى كان يكتبها الأشراف، أى الآريون الهنود. والكتاب من أربعة أبواب تشمل: معرفة ترانيم الثناء، ومعرفة الأنغام، ومعرفة القرابين، ومعرفة الرقى السحرية. وكلمة «فيدا» تعنى: المعرفة. وتعطى تعاليم الفيدا لحياة الأسرة تقديرا يرفع مستواها، كما تعطى للمرأة حرية اختيار الزوج، وحق الظهور بغير قيود فى الحفلات والرقص، وتعطى للرجل حق تعدد الزوجات. وتتعلق صيغ «الفيدا» بالعواطف والمشاعر الصافية والمتوهجة، بأشكالها المختلفة، وانعكاساتها النفسية والفكرية والجسدية.

مزاجها وهواها[1]. فصارت متهيئة لقبول أفكار «الفيدا» وتطبيقها، خاصة بعد أن تعلمت وأجادت بعض فنون الزينة والغناء والرقص.

وقرأت أيضاً عن «خادمات المعبد» أو «النسوة المقدسات» اللائى كان يستخدمهن المعبد أول الأمر فى الرقص والغناء أمام الأوثان، ثم أجيز لهن إمتاع الكهنة البراهمة، ثم تطرقن إلى الإمتاع فى الحفلات العامة بالغناء والرقص، وفى الحفلات الخاصة بأكثر من ذلك.

وكانت تلك عادة قديمة غير مستهجنة أو معابة، بل إن بعض الأسر المحترمة كانت تهب لخدمة المعبد إحدى بناتها، تماماً مثلما تهب أحد أبنائها للتخصص فى الكهنوت.

ولم تجد «مارجريتا» ـ ابنة الشمال الهولندى البارد ـ حرجاً فى أن تستدفئ فى جزيرة جاوا بالرقص فى المعابد الهندوسية بين الحين والحين، وفقاً للطقوس والأنغام التى أحبتها وأبدعت فى الأداء معها. فاكتسبت بذلك كله «شخصية» جديدة، وأفكارا

---

(١) جاء فى تعاليم بوذا أن: «الحقيقة السامية هى أن الشهوة سبب الألم. فالشهوة تؤدى إلى الولادة من جديد، وتسعى وراء اللذة لتنغمس فيها فتشغل المرء عن شئون لحكمة والفضيلة والعيش الكريم. فيكون حينئذ من الصواب إيثار العزلة والانقطاع والخلاص».!!

جديدة، ورؤى للمستقبل جريئة وطريفة.

ثم فجأة تقع حادثة ... بل كارثة..!

كان الزوج «ماكلويد» على علاقة بممرضة، طالت وما استقامت، فهجرها إلى أخرى. فغارت واغتاظت، ودبرت لقتله بدس السم خلسة فى طعام لم يأكله، وإنما أكله الطفلان البريئان. فمات «نورمان» على الفور، وأسعفت «نون» فنجت من الهلاك. ولم تسلم الأم من آلام النفس وعذاب الاكتئاب والسخط.

وكان طبيعياً أن تزداد نفورا من زوجها ومقتاً له، إذ كان ـ إلى جانب سلوكه السئ ومعاملته الخشنة المهينة لها ونزواته السافرة ـ مسئولاً فى نظرها عن موت ابنها المسكين. ولم يكتف ماكلويد بذلك، بل غافلها و «سرق» ابنتها «نون» وهرب بها إلى مكان مجهول[١].

وبرغم وجود اختلافات جوهرية بين الروايتين، إلا أن هناك شبه اتفاق على أن «مارجريت» أو «مارجريتا»، أو «ماتا هارى» عاشت حياة شقية مؤلمة مع زوج سكير، يجد متعة فى ضربها وسبها وإهانتها بإقامة علاقات مع نسوة أخريات، مما أدى إلى نفورها منه ومغادرة «جاوا» بدون ابنتها.

---

(١) فؤاد شاكر (مصدر سبق ذكره)

# الجاسوسة الغبية

اشتهرت ماتا هارى فى بلاد الملايو شهرة طاغية كراقصة ساحرة الجمال والأنوثة ، لونت جسدها الناعم المثير شمس جاوة الحارة وصبغته مما ضاعف من إظهار فتنتها ، وزادها شهرة كما يقول (نيومان[1]) أنها لم تكن تصد أحد من المعجبين طالما كانوا أغنياء.

ولما ذهبت إلى برلين، كان أول أسير وقع فى غرامها هو «ولى العهد» الذى اصطحبها معه لتشهد المناورات العسكرية فى «سيليزيا» .

أيضاً كان القائد العسكرى المشهور «فون ياجو» من عشاقها الذين يجهرون بحبها، كذلك الدوق «فون برنسويك». وسافرت إلى فيينا تعرض رقصاتها ثم ذهبت إلى روما ولندن ومدريد للغرض نفسه.

ومن ثم فإنها سرعان ما أصبحت شعلة الإثارة ومثال الأنوثة فى عواصم أوروبا الغربية ، وكان يتبعها أينما ذهبت موكب من

---

(١) برنارد نيومان: أسرار الجاسوسية، العدد ٤٩ من مطبوعات «كتابى» للمؤسسة العربية الحديثة ، ترجمة إبراهيم موسى.

العشاق والمعجبين يشمل رجالاً من أرقى الأوساط والمناصب، بينهم العديد من كبار ضباط الجيش الألمانى ، وهو ما اتخذ دليلاً ضدها فيما بعد، وهو الدليل الذى تم استعراضه بقوة فى المحكمة العسكرية التى عقدت لمحاكمتها، ولم يكن هناك أمام ذلك سوى إدانتها والحكم عليها بأقصى عقوبة فى زمن الحرب.

فأثناء الحرب العالمية الأولى ، وضع فى فرنسا اسم «ماتا هارى» فى القوائم السوداء ، كجاسوسة ألمانية . ولم ينقذها من الاعتقال سوى حماية أصدقائها من ذوى المراكز العليا .

حيث تردد أن ماتا هارى لو أنها كانت جاسوسة حاذقة مدربة بحق ، لوجدت أمامها فرصًا لا حد لها لتنقذ نفسها ، إذ كانت تعرف كثيرًا من المسئولين الألمان الذين لا يملكون كبح ألسنتهم فى رفقتها .

لكنها كانت فى الحقيقة كما يقول المحللين قليلة الخبرة ، محدودة الذكاء ، لم تستطيع الإفادة من المعلومات التى كانت تصل إليها.

كذلك لم تنجح فى شئ قدر ما نجحت فى إثارة الشبهات حولها فى فرنسا .

ويدعى (نيو مان[1])، إن السلطات الفرنسية ضاقت بماتاهارى ، فقررت الخلاص منها بإقصائها عن فرنسا بعدما حامت الشبهات حولها، ووصول تقرير سرى من إدارة المخابرات الإيطالية إلى جميع دول الحلفاء هذا نصه:

ـ أثناء فحص ركاب سفينة يابانية فى نابولى، وجدنا اسم ممثلة شهيرة فى مارسيليا، وهى «ماتا هارى» الراقصة الهندية ذائعة الصيت، وهى التى ترقص الرقص الهندى الخفى، الذى يتطلب التجرد من جميع الملابس.

ويبدو أن ماتا هارى هذه نبذت دعوى ميلادها فى بلاد الهند، وادعت أنها من أهل برلين.. وأن نطقها الألمانية يخالطه أثر اللهجة الشرقية).

---

(١) المصدر السابق

## طعـنة فى القلـب

وجاء فـى كتـاب فـؤاد شـاكر[1] صفحـة (٢٠) عـن قصـة سـفرها وإقامتها بباريس، فرت «مارجريتا» إلى باريس، مدينـة النور كمـا سمعت، وعاصمة البهجة والمتعة والعشاق،والتى ترحـب بـالوافدين الراغبين، وتغمر بسحر لياليها الزائـرين والمقيمين.

ألقت فى البحر من أعلى السفينـة التى أقلتها إلى مارسـيليا بكـل مـا كـانت تعرفـه وتختزنـه عـن «مارجريتـا جـير ترويـدا زل»، تخلصت من قاموس الرهبنة القديمة، وكـابوس الـزواج والأمومـة والصداقة والواجب والاستسلام للواقع والرضا بالقليل.

فماذا أفادت من كل ذلك..؟!

حتى اسمها، قذفته مشمئزة إلى البحر، واختارت «للشـخصية» الطامحة الجامحة الجديـدة اسمـاً طريفـاً موسـيقياً مناسـباً: «ماتـا هارى»!!

وداعاً إذن مارجريتا.. وإلى غير رجعة!

أقسمت بينها وبين نفسها: ليعلون اسمها الجديد فـوق السـحاب،

---

(١) مصدر سبق ذكره.

وليديـرن رءوس الرجـال، شـراذمه ونبـلاء، وليطأطئنـها صـاغرة عند قدميها.. وقد كان.

لم تبدأ «ماتا هارى» فى باريس من الصفر، من الظل والظلام إذ لا وقت بعد الآن يضيع فى تدرج عاثر نحو الصعود.

اتجهت مباشـرة إلى إحـدى صـالات الغنـاء والطـرب الشـهيرة فـى باريس، فأبـهرت بجمالهـا، وأدائـها، وردائـها السـاحـر الغريـب، الـذى اختارتـه بذكـاء لنفسـها: حجاب شـفاف هفـهاف متعـدد الألـوان، ينسدل من أعلى الرأس إلى الكتفين العـاريين والصـدر المكشوف إلى أسفل البطن، وشرائح عريضة مـن حريـر رقيـق تحيـط بـالخصر وتتطاير مع الرقص، وحلـى براقـة فـوق الـرأس والصـدر، وحـول الذراعين وأعلى القدمين.

كانت ماتا هارى تغير زيـها أكـثر مـن مـرة مـع كـل رقصـه فـى الليلـة الواحـدة، وتفضـل أن يكـون مـن طـراز شـرقى كمـا رأت فـى معابد جاوا، أو قرأت فى أسفار فيدا.

وزادها فتنة أنه كانت ترقص فى نشـوة روحيـة وكأنـها هائمـة تسبح فى أجواء الفرحة بأداء الطقوس مع «فتيات المعبد».

كانت بلا تكلف آسرة باهرة مدهشـة. ومنـذ البدايـة، توقـع لها

الكثير أنها ستتفوق، وتعلو شهرتها فوق ما كانت تحظى به أشهر راقصات باريس فى ذلك الوقت «إيزادورا دونكان». وهذا ما كان.

فقد اجتذبت أنظار الصحافة وآلات التصوير، وأصبحت وأمست صورها منتشرة، وأخبارها مألوفة بين القراء، واسمها الغريب الطريف يتردد على الألسنة، ويتجاوز العاصمة والمدن الفرنسية إلى خارج الحدود.

وكان من تعليقات الصحف:

- «إنها امرأة جذابة، ورقصها المثير أشد جاذبية، ويفصح عن مكنون مشاعرها وانفعالاتها المتوقدة، التى تطغى على أى ضعف فيها»!!

وكتبت عنها الأديبة الروائية الشهيرة «كوليت»:

- «إن ماتا هارى تعرف جيدا كيف تحرك فى نعومة الزنبق أو الزئبق كل عضلة فى جسمها الغصن الزاهى الجميل، وهو ما لم تشهده باريس مطلقاً من قبل»!!

وشاع تقليد رقصاتها فى كل الأوساط، شكلاً فقط بلا روح! فهى وحدها التى تضفى على الاداء حياة وصفاء، وروحاً مشعة تجذب نحوها أرواح الملايين ، أفرادا وأسرا وطوائف وسائحين، من

عواصم ومدن أوروبية كثيرة. وانحنت بين يديها، بل وعند قدميها، روءس أصحاب الفلوس والمناصب العليا والنفوذ.

فهل آن لها أن ترضى وتهدأ وتكتفى، وقد بَرت بقسمها لنفسها، وحققت ما وعدت؟

كلا.. لابد من الانتقام. الانتقام من نفسها مثل الآخرين.

فهذا الجسم، جسمها الرشيق المياس الجميل، جلب إليها من قبل ـ فى جاوا ـ البلاء والشقاء، حيث أخفقت فى اتخاذه وسيلة لاستجلاب السعادة مع الزوج، والهناء بالأسرة ، والبهجة بالأمومة، والفرحة بالحياة.

ومع ذلك، فهو ذاته ــ الجسم ــ الذى يأسر النظرات ويبهر الأنفاس ويدير الرءوس ويشعل النار فى القلوب. فما أتعسه إذن، وما أتفه الرجال عند الاشتهاء!

من هنا فقط، قدمت جسمها فى نشوة المنتقم للذى يدفع الثمن، غاليا لمن يملك أو يقتدر. ولم تجد حرجا فى أن تساوم وتطلب الدفع مقدما، نقدا بالآلاف ، أو حليا ومجوهرات من أرقى الأصناف.

وكم أضاع مشاهير وأثرياء وأصحاب نفوذ وسلطان، أموالهم

وثرواتهم وسمعتهم ومناصبهم من أجلها، أو لإرضانها ومحاولة الفوز بقلبها. لكنها كانت دائما ترفض وتصمد، وتسوف لتستنزف، ثم تصد فى كبرياء وزهو.

ومن يسقط أو يقنط أو يتحطم ويفتقر، كانت على الفور تلفظه وتتجاهله، وكأنها لم تكن تعرفه، فغيره من الطامعين كثير، عدا شخصاً واحدا كانت على استعداد لأن تلقى بنفسها فى النار الموقودة، أو فى البحر، من أجله.

إنه «فلاديمير ماصلوف» ، ضابط «كابتن» بالفرقة الأولى الإمبراطورية الروسية، اقترح وحاول أن يتزوجها ولكن عائلته العريقة لنبيلة عارضت ورفضت.

فكانت صدمة جديدة لها وفاجعة عاطفية محزنة. حاولت الإغفاء والخروج من تلك الأزمة بالتنقل المتلاحق بين شقتها الفاخرة فى الشانزليزيه بباريس، ولاهاى بهولندا. ثم تخلصت بالبيع من بعض مقتنياتها ومنها حصانها العربى الأصيل «فيشنو» ، وهو اسم هندى، وأشيع أنها طعنته عامدة طعنة نافذة فى قلبه، لكن الصحيح انها باعته فى سنة ١٩١٥ والحرب العالمية الأولى على أشدها.

لقد كان البوليس الفرنسى يشتبه فيها على اعتبار أنها مجرمة من نوع آخر (تشجع على الفسق والتعرى)، فأصبح رجال مكافحة الجاسوسية يراقبونها أيضاً. فكانت إذن تحت رقابة مزدوجة.. وظلت كذلك مدة طويلة حتى اتهمت بأنها أخلت بقانون الأحكام العرفية الفرنسية، فقدمت للمحاكمة.. ولم يكن هناك دليل ملموس أو معقول ضدها.. مما حير متهميها.

فما كان من ماتا هارى إلا أن عرضت على الفرنسيين فكرة التجسس على الألمان ، قائلة ، إن الجنرال (فون بيسينج) حاكم بلجيكا البغيض ، كان من عشاقها، ومن ثم ففى وسعها أن تظفر منه بمعلومات.. كما ذكرت أسماء رجالاً أعلى منه مقامًا .

## أدلــة دافــعــة

هكـذا تصـورت ماتـا هـــارى أن بمقدورهـــا إســكات الفرنســيين والتغاضى عن أنشطتها، لكن حظها التعس أوقعها بين يدى ضابط فرنسى أكـثر منـها دهـاء ، وهـو (روبـير لوبـين) ، الـذى خطـط لها بذكاء نادر.

فكان أن بعث بها فـى سرية إلى بلجيكـا، بعـد أن زودهـا بأسمـاء ستة من الجواسيس الفرنسيين، لكى تفضى إليهم بالمعلومات التى تحصل عليها .

وكـان الستـة الذيـن اختــارهم الضــابط الفرنســى، لا يعملـون لصالح فرنسا على الإطلاق .

ووقعت ماتا هارى فى الفخ .

فما إن وصلت إلى بلجيكا حتى أفضت بأسماء الجواســيس الستـة للسلطات هناك، وإذا خمسة منهم جواسيس لألمانيـا ، فـى حـين أن السادس كان جاسوسًا لبريطانيا .

وكانت هـذه هـى الخطـوة، أو العمليـة الإيجابيـة الوحيـدة التــى قامت بها ماتا هارى.

بعدها ..

أبحرت ماتا هـارى إلى انجلـترا حيـث اعتقلت فـى ميـناء فـالموث Falmouth ، وتحت التعذيب الشديد تعترف بأنـها جاسوسـة فعلاً .. ولكن .. لحساب فرنسا.

فى ذلك الوقت كان تجسـس دول الحلفـاء بعضـها علـى بعـض ، أمرًا مسلمًا به ، ومن ثم أطلقـت السلطات البريطانيـة سـراح ماتـا هارى لتعود إلى فرنسا، ولكن عن طريق أسبانيا .

وفى مدريد التقت الجاسوسة الغامضـة بـالعديد مـن عشـاقها ، وماكانت تعلم أن عيون رجال الاستخبارات الفرنسـية ترصد كل خطواتـها بدقـة ، حتـى وهـى تلتقـى بـالملحق العسـكرى الألمـانى ، وتتسلم منه مبلغا كبـيرًا مـن المـال ، لقـاء أمـور غامضـة لم يكشف عنها[1] .

---

(١) قيل أنها تسلمت منه شيكا بمبلغ ١٥ ألـف بيزيتـا يصـرف بواسـطة زميـل محـايد فـى باريس، إضافة إلى برقية بالشيفرة تطلب منها العودة إلى فرنسا. هـذه البرقيـة كـانت مثار شكوك العديد من المحللين. فمنهم من يقول بأن الألمان أرادوا التخلـص مـن ماتـا هـارى لنفقاتـها الباهظـة، أو أن بعضـهم كـان يحسـب نفقـات الاسـتمتاع بـها مـن المـال المخصـص للخدمـة السـرية. فلمـا انكشـف الأمـر قذفـوا بـها إلى براثـن السـلطات الفرنسـية.. أو أنـها أصبحـت تحـت مراقبـة شـديدة قـد تكشـف الآخريـن. أو أن «كناريس» رئيس المخابرات الألمانيـة أراد ان يتخلص منـها لأنـها كـانت تـود الـزواج منه، وأنه هو الذى اغراها واستغل حبها فى اتخاذها جاسوسـة. لكـن المتفـق عليـه أن الرسـالة الشيفرية ارسـلت مكشـوفة تقريبـاً. اى مكتوبـة بشـيفرة قديمـة مفاتحـها معروف للفرنسيين.. فلما وصلت إلى باريس قبض عليها وكان بحوزتها الشيك.

وعن قصة اعتقالها فى انجلترا يقول الكاتب الأستاذ فؤاد شاكر:

ـ (فى سنة ١٩١٥ تحرش بها الإنجليز، وألمحوا إلى شكهم فى علاقتها بالألمان، ثم زعموا أنها تتجسس لحسابهم، ولم يقدموا أبدا قرينة تدينها. وادعوا ـ كذبا ـ أنها أعطت الألمان معلومات عن تطور صناعة الدبابات الإنجليزية الحديثة الابتكار، وألقوا القبض عليها وأودعوها السجن. ثم اتضح أن الذى سرب هذه المعلومات إلى الألمان سجين آخر غيرها.

ومع ذلك ظلت حبيسة الاعتقال بلا مبرر، بين ثلاثين ألفا من المعتقلين الذين احتجزتهم بريطانيا فى سنوات الحرب بحجة الاشتباه فى تجسسهم للألمان.

إنها هيستيرية الخوف، أو إرهاب الدولة، مع العلم أن ماتا هارى ليست بريطانية، ولا من رعايا المملكة المتحدة. ثم أطلق سراحها بعد فترة، وعادت إلى فرنسا)!

وما إن وصلت بعد ذلك إلى باريس، حتى كان جهاز الاستخبارات الفرنسى قد انتهى من إعداد ملفها الأمنى ، الذى تضمن أدلة دامغة على تجسسها لصالح الألمان ، واتصالها بهم فى جاوا وبلجيكا ومدريد.

# فى المحكمة

وصلت ماتا هارى إلى باريس ونزلت بفندق كونتننتال Contininta المعروف بأنه فندق المشاهير ، ذلك الفندق العتيق ذو الشهرة الواسعة فى أوربا، والذى يقع على الضفة اليمنى لنهر السين بشارع Rue de Castiglione ، حيث كان لوبيز رجل الاستخبارات الماهر يتوقع حدوث لقاءات سرية بينها وبين آخرين، يمكن من خلالهم تأكيد خيانتها وتجسسها على فرنسا .

لكنها أمضت فترة فى باريس تعانى الشكوك المروعة التى أحاطت بها، إلى جانب ضائقة مالية شديدة حاصرتها، وكانت متلهفة على نجدة من بلجيكا بتوقيع عقد بمليون فرنك مع بعض الملاهى هناك.

ولما خاب ظنه بعد مراقبة صارمة وانتظار امتد طوال أسبوع كامل ، هاجم لوبيز الفندق نهار ٢١ مايو ١٩١٧، وألقى القبض على ماتا هارى بينما كانت تجلس بمفردها فى الحديقة الداخلية للفندق ، المسماة (شرفة الزهور) Terrasse Fleurie، تتناول طعام إفطار بسيط.

استماتت ماتا هارى «عين الصباح» فى الدفاع عن نفسها ودفع تهمة الجاسوسية عنها ، مؤكدة بأن الأموال التى حصلت عليها من الملحق العسكرى الألمانى فى مدريد ، كانت مقابل ما باعته إياه من حب. !!

فى ٢٤ يوليو سنة ١٩١٧ وأمام مجلس عسكرى حوكمت ماتا هارى، التى تخلى عنها الجميع وتنكروا لها بعد أن كان ينحنى لها كبار الساسة والأثرياء والقادة والعظماء. تنكر لها كل هؤلاء ممن كانوا يطرقون بابها ويرتمون عند قدميها.

وكان الجو العام فى المحكمة عدائياً: الادعاء والقضاة، ومنع الجمهور والصحافة من حضور الجلسات، ومنعت من حق الاستعانة بأى شاهد. وشكا محاميها الشاب «إدوار كلونيه» من أجواء الغموض التى تسود المحاكمة. وبرغم ذلك كانت إجابتها سديدة حتى أن أعضاء المجلس كانوا فى شك من أمرها. ولما بدأ الكولونيل «سمبرو» رئيس المجلس يسألها عن تسلمها مبلغ ٣٠ ألف مارك من «فون جو»، قالت[١] :

ـ إنه هبة من عاشق لمعشوقته، وليس من اجل خدمات خاصة.

---

(١) جاء محضر المحاكمة بأحد أعداد «كتاب اليوم» الذى فشلت فى العثور على عنوانه أو سنة إصداره فى الخمسينيات من القرن الماضى.

رد فى دهشة:

- نحن نعرف ذلك، ولكن المبلغ يبدو أكبر من أن يكون مجرد هبة.

أجابته قائلة:

- عن عشاقى لم يدفعوا لى مبلغاً أقل من ذلك.

عاد فسألها:

- لقد أتيت من برلين إلى باريس مارة بـهولندة وبلجيكا وانجلترا. فما مهمتك فى فرنسا..؟

قالت:

- مهمتى الحقيقية كانت ملاحظة نقل أثاث دارى من الفيلا التى كنت أسكنها فى نيوللى(!!)

ثم سألها سمبرو عن سفرها إلى فيتيل[1] Vittel، على الرغم من أن تقارير البوليس أكدت أنها لم تأت بأى عمل هناك غير تمريض

---

(١) تقع إلى الشرق من باريس، على مسافة حوالى ١٥٠ كيلومترا من الحدود الألمانية وكانت قد طلبت الأذن من السلطات الفرنسية ذات مرة للسفر إلى فيتل لزيارة أحد عشاقها الذى أصيب بالعمى الكامل فى ميدان القتال.. وكان هناك مطار عسكرى فى طور الإنشاء يريد الألمان معرفة موقعه بالضبط كما علم من الإشارات الشيفرية الملتقطة إلى أعوانهم . وروقبت ماتا هارة طوال زيارتها للمستشفى التى قبعت به إلى جوار عشيقها ولم تغادره، مما خيب رجاء مراقبيها فى الإمساك بدليل ضدها.

الضابط الأعمى هناك بحنان ملحوظ، وهناك تعرفت أيضاً على عدد من ضباط الطيران.

فقالت:

ـ إن الرجال المدنيين لا يتسرعون اهتماماتى. لكن الضابط يبدو لعينى شخصاً يسمو على المخلوقات. إنه رجل متأهب دائماً للمغامرة، ومجابهة الأخطار. فإذا وقعت فى حب أحد فلابد ان يكون ضابطاً، بصرف النظر عن جنسيته.

# ثمن جسدى

تظاهر الكولونيل سمبرو بأنه لم يلق بالاً إلى ذلك الإطراء وواصل استجوابه:

ـ وما هى ملاحظاتك على ضباط الطيران الذين سعوا للوصول إليك، وغازلوك، جاملوك، واطروك، وكيف حصلت منهم على المعلومات والأسرار التى يعرفونها مجاناً؟.. من المؤكد أنك أخبرت الأعداء عن مكان هبوط طائرات مخبرينا وعرضت عددا من رجالنا للقتل.

قالت:

ـ أنا لا أفكر أننى داومت أثناء التحاقى بخدمة الصليب الأحمر على مكاتبة مدير الخدمة السرية الألمانية وكان حينذاك بهولندا، وليس ذنبى أنهم أسندوا له تلك الوظيفة.. لكننى لم أكتب له شيئاً عن الحرب إطلاقاً.

وقالت ماتا هارى أن علاقتها بالضباط والجنود ترجع إلى ميلها إليهم، وكانت تؤثرهم بأنوثتها لقاء المال...

ثم أضافت:

ـ إذا قيل عنى بأننى «خاطئة» فهذا صحيح ! إما أن يقال عنى أنى خائنة فلا .. على الإطلاق.

وسألها:

ـ كيف تستطيعين أن تكونى مفيدة لفرنسا..؟

أجابته فى الحال:

ـ باستخدام معارفى لمصلحتها! لقد سبق أن أخبرت مدير المخابرات عن الأماكن التى أنزلت بها الغواصات الألمانية الأسلحة بمراكش على وجه الدقة.. وكان عملى هاماً..

قال:

ـ نعم .. كان هاماً للغاية.. ولكن ما كان يتاح لك معرفة كل هذه الأمور، ما لم تكن لك علاقة بالألمان.

فتراجعت لحظة، ثم أبدت توضيحاً لمسلكها لم يخل من اضطراب، ومضمونه أن ذلك كان ما عرفته أثناء عشاء دبلوماسى..

ثم انفجرت قائلة:

ـ على كل حال... إننى لست فرنسية .. وليس علىّ واجبات للشعب الفرنسى. لقد كانت خدماتى لفرنسا مفيدة.. وهذا كل ما

عندى.. وما أنا إلا امرأة مسكينة، تحاولون نصب الشرك لها كى تنزلق إلى الاعتراف بأخطاء لم ترتكبها.

ولما سألها سمبرو عن إقامتها فى مدريد، وعن الخمس عشرة ألف بيزيتا التى كان من المزمع صرفها إليها فى باريس قالت:

- إنى لأعترف بأن هذه المبالغ هى أجرى.. أجرى عن ليالى الغرام.. أو بمعنى آخر.. إنها ثمنى.. ثمن جسدى هذا الذى أمنحه لكل من يقدره. إنها الحقيقة التى يجب أن تصدقوها أيها السادة. كما يجب عليكم أيضاً أن تعرفوا بأننى لست فرنسية.. وإنى احتفظ لنفسى بحق الاتصال بمن أريد.. لكننى لم أضر بفرنسا أو بجيشها أو مصالحها.. ولم أعمل ضدكم أبدا. فإذا كان كلامى هذا لا يرضيكم فافعلوا بى ما تشاءون.

وشهد لها الكابتن «جورج لادو» رئيس مكتب الجاسوسية الفرنسى، فقال[1]:

- (إن ماتا هارى قدمت خدمة كبيرة لفرنسا).

وربما كانت تعمل كجاسوسة مزدوجة، وبما أنها بطبيعتها تحب المغامرة والمخاطرة، فقد استهوتها تلك المهمة.

---

(١) الجاسوسية والإرهاب (مصدر سبق ذكره).

وأضاف جورج لادو فيما بعد، أنها هى التى اقترحت المجازفة بأداء دور الجاسوسة المضادة وتعريض نفسها للمخاطر لخدمة فرنسا، لكن كبار المسئولين فى الدولة لم يأخذوا بكلامه، كما شككوا فى قوله بأنه لم يكن يعتبرها جاسوسة بهذا المعنى لا للألمان ولا لفرنسا، وهى لم تتقاض من جهازه أى شئ عن خدماتها.

وأثارت قضيتها ضجة كبيرة وأزمات سياسية ، لاسيما حين اعترفت بأن وزيرًا فرنسيًا الحرف الأول من اسمه : ( م ) كان من المعجبين بها ، فأقصى وزيرًا كان يدعى ( مالفى ) ، وصرح بأنه لم ير ماتا هارى هذه من قبل ، حتى أنه لم يسمع عنها إلا بعد أن أثيرت قضيتها على الملأ .

لكن لا أحد صدق الوزير الفرنسى أو أنصت إليه ، وهوجم بعنف من قبل الجماعات المتشددة والصحافة .

وحوكم الوزير بسبب علاقته بماتا هارى، وشهد له أربعة من رؤساء وزراء فرنسا السابقين بالولاء والإخلاص للجمهورية الفرنسية، وبرغم ذلك حكم عليه مجلس الشيوخ بالنفى سبع سنوات من فرنسا.

وبعد انتصار الحلفاء على ألمانيا، عاد مالفى واختير وزيرا فى الحكومة المسيو «هيريو» .

بعد ذلك اتضح أن ماتا هارى كانت تقصد الجنرال «ميسيمى» الذى كان يشغل منصب وزير الحربية فى سنة ١٩١٤ . ومع أن الحكومة الفرنسية ردت إلى «مالفى» اعتباره ، إلا أن الوصمة ظلت عالقة به طيلة حياته .

كان واقع الحال فى أوروبا خلال ذلك الوقت يمر بمنعطفات حادة بسبب الحرب العالمية الأولى التى كانت فى أوج اشتعالها. ونظرًا لكون المحكمة التى مثلت ماتا هارى أمامها محكمة عسكرية، فقد حكم عليها بالإعدام رميًا بالرصاص ، فى سابقة مثيرة لم تحدث من قبل فى فرنسا.

قابلت ماتا هارى الحكم بابتسامة غامضة، وكان دليل التوتر العصبى الوحيد انها عضت شفتيها فيما يشبه الصدمة لثوان محدودة.

وقد حاول محاميها «إدوار كلونيه» استئناف الحكم بدون جدوى، ذلك لأن فرنسا كانت تعانى آنذاك من الحرب ومن تمرد جنودها فى جبهة القتال، مما كان له اثره فى حالة الشدة والقمع التى اتبعت فى الداخل مع الخونة والجواسيس.

ولولا ذلك لسجنت ماتا هارى فقط، حيث لم يسبق أن أعدم أجنبى يتجسس على دولة أجنبية ما لم تتوافر أدلة قوية ضده.

رفض رئيس الجمهورية «بوانكاريه» أن يمنحها العفو أو يرجئ التنفيذ، ورفضت ملكة هولندا التماس رئيس وزرائها بالتدخل لدى فرنسا نظرا لسمعة ماتا هارى السيئة ورقصاتها العارية التى نشر عنها الكثير بالصحف.

# تاج الجمال

صدم الرأى العام الفرنسى لبشاعة العقوبة التى تقررت ضد الجاسوسة الحسناء ، وبالرغم من ظهور نداءات طالبت بعدم تنفيذ حكم الإعدام فى ماتا هارى ، والاكتفاء بمعاقبتها بالحبس مدى الحياة ، إلا أن الحكومة الفرنسية التى كانت منشغلة بالحرب، لم تعر الأمر أدنى اهتمام.

وفى السابع من أكتوبر ١٩١٧ تصدق نهائيًا على العقوبة وأخبرت ماتا هارى بذلك فصدمت ، وكتبت بنفسها عدة رسائل إلى الصحافة تعترف فيها بأنها بريئة مما نسب إليها ، وأن القضية برمتها كانت ضعيفة الأسانيد والأدلة ، وأن الحكم جاء بالإعدام لأجل إسكاتها، نظرا لاطلاعها على الكثير من أسرار الفساد والمفسدين فى الحكومة الفرنسية . حتى أن الرمى بالرصاص لم يكن سوى تشفيًا فيها وانتقامًا للتستر على انحرافات الكبار الذين ركعوا أمامها أذلاء شهواتهم .

وفى السجن، سمح لها ببعض الامتيازات فى زنزانتها رقم ١٢ بسجن «سان لازار» ، كشرب النبيذ مع الوجبات، ومطالعة الكتب،

والتدخين، وكانت فى حالة سمر مع طبيبها والراهبتين المرافقتين اللتين كانتا دائماً ترقبانها فى شك وحذر. وفى آخر ليلة لها أعطيت حقنة مخدرة لتنام قبل الاستيقاظ الأخير.

وفى ١٥ أكتوبر[1] ١٩١٧ ، فتح باب زنزانتها فى الصباح الباكر وسألها مأمور السجن أن كانت تريد شيئا معيتا ، فنظرت إليه برجاء قائلة :

- «لقد رفضت الحكومة أن أرى ابنتى .. وكل ما أرجوه منك يا سيدى المبجل.. أن تقول لابنتى إن جاءت يومًا للسؤال عنى ، إننى بريئة .. قل لها على لسانى إننى حقيقة بريئة وأرجو منها أن تذكرنى بكل خير.. فأنا لم أحب سواها برغم تركها مع «والدها» ماكلويد.. ذلك الرجل الذى ظلمنى.

وعدها المأمور بأن يحقق لها ذلك، فتنهدت واستعدت لكى تتحرك مع الجنود رافضة أن يمسك أحد بيدها .

وحاول محاميها «كلونيه» أن يخفف عنها وقع اللحظات

---

(١) جاء بكتاب عادل حمودة : (حكومات غرف النوم) ص٢٢٥ أن ماتا هارى أعدمت فى ٢٥ أكتوبر سنة ١٩١٧ . لكن المصادر التى اعتمدت عليها أكدت جميعها بأن إعدامها كان فى يوم الأثنين ١٥ وليس ٢٥ أكتوبر .

الأخيرة الرهيبة بشئ من الملاينة والتسرية، لكنها لم تستجب لمحاولاته، ورفضت بإصرار شديد أن تخضع لكشف طبى روتينى وصرخت فى وجه الطبيب، ثم هدأت،وطلبت أن ترتدى معطفاً من الفراء.

وعند ساحة الإعدام نظرت إلى الجمع الواقف فلمحت (لوبيز) فقالت له :

ـ هل لك أن تقترب ياسيدى لأطلعك على سر ..؟

فهرول إليها ضابط المخابرات على الفور ضناً منه بأنها ستعترف له بأسماء شركاء لها، حتى وقف أمامها منتبه الحواس منتشياً بالفوز الذى حققه.

عند ذلك بصقت على وجه وهى تقول بصوت حاد :

ـ تقاسم هديتى مع أسيادك أيها الكلب النتن .

فكظم غيظة وتراجع بعيدا عنها وهو يمسح آثار البصقة بمنديله.

وبخطوات ثابتة اتجهت صوب شجرة عارية ، فتقدم منها الجندى المختص وشد وثاقها إليها ثم ابتعد.

جرى العرف على وضع قطعة قماش زاهية اللون، حوالى ٨×٨ سم، فوق صدر المحكوم عليه بالإعدام رمياً بالرصاص لحظة التنفيذ، لكى يتم تصويب البنادق إليها فتخترق الرصاصات الصدر إلى القلب مباشرة. لكن ذلك لم يتم مع ماتا هارى التى صرخت فى الفريق مشجعة:

- «هيا أيها الرجال.. صوبوا بنادقكم إلى صدرى دونما شعور بالذنب.. فأنتم أبرياء من دمى.. ولا تأخذنكم شفقة بى فما أنتم إلا أداة لتنفيذ الواجب، وحكم المحكمة، والقانون، هيا... فليرحمنا الله جميعاً»..!!

ويتأهب فريق ضرب النار لأداء مهمته وكانت الآذان منتبهة لنداء قائد الفريق آذناً بالضرب على الهدف. لحظات وتنطلق عدة رصاصات باتجاه صدرها ، عندئذ يسرع إليها طبيب السجن وبإيماءة منه يفهم أنها مازالت على قيد الحياة .

فيتقدم قائد فريق التنفيذ بمسدسه ، ويطلق رصاصة الرحمة على رأسها فيغطى الدم المتخثر شعرها الحريرى الذهبى الطويل ، الذى كان ذات يوم تاج جمالها ، ودثار عشاقها الذى تفوح منه أطايب الأنوثة الطاغية الفتاكة..!

# بوابة التاريخ

وعن الأيام واللحظات الأخيرة فى حياة ماتا هارى يقول فؤاد شاكر فى كتابه «الجاسوسة والإرهاب»:

ـ رتب أحد عشاقها الجامحين ، وكان طيارا، أن يحلق على ارتفاع منخفض بطائرته الصاخبة فوق ساحة إعدامها عند لحظة إطلاق الرصاص عليها، فيرتبك الحراس والحضور والجنود، فتفلت هاربة بمساعدة من أغراهم بالمال داخل السجن. لكن الخطة فشلت لعدم الدقة والتوقيت.

لقد أحزنت ماتا هارى عشاقها ومن حاولوا عبثاً «اختطافها» من الموت بخدع وخطط غريبة طريفة وهم كثيرون.

وإلى جانب ذلك الطيار الذى فشلت خطته فى اختطافها، كان هناك عاشق متيم آخر: الثرى الأسبانى «بيير مورتيساك» الذى نثر من قبل معظم ثروته الضخمة بين يدى وتحت أقدام «ماتا هارى» لعلها ترضى وتمنحه قلبها دون سواه.

فلما حكم عليها بالإعدام ودنا موعد التنفيذ، نذر أن ينفق ما

تبقى معه من مال فى محاولة لإنقاذها، بحيث يدفع لفرقة تنفيذ الإعدام أى مبلغ يطلبونه، مقابل استبدال الرصاص الحقيقى بآخر فشنك، وعند إطلاق الرصاص تسقط حبيبته أرضاً وكأنها قتلت، وتضغط على كيس فى ثنايا رداء صدرها به سائل أحمر بلون الدم.

فتحمل إلى قبر أعد على نحو خاص يسمح لها بالتنفس وهى فى نعشها، وفى الليل يتسلل إليها «مورتيساك» المنقذ المتيم المنتصر، ويهرب بها إلى أرض خيال وأحلام ونعيم مقيم. لكن فشلت أيضاً لأنه لم يعرف فى وقت مبكر من سيتولى تنفيذ الحكم. فاعتزل الحياة وانزوى فى دير بشمال أسبانيا وصورة ماتا هارى فى قلادة برقبته، إلى أن مات دفاعاً عن الدير فى الحرب الأسبانية.

وربما كان محاميها الشاب «إدوار كلونيه» أكثر واقعية وأوفر حظاً فى التنفيذ: أن يغرى بالمال والجمال حارساً بسجنها فى «سان لازار» بباريس، بأن تحمل منه، نظرا لأن القانون الفرنسى يمنع تنفيذ حكم الإعدام فى المرأة الحامل.

أما هى، ماتا هارى، فكانت تفكر وتدبر على نحو مختلف تماماً،

ويتسق مع نظرتها إلى نفسها وجسمها. فعندما جاءوها فى الصباح الباكر ليقتادوها إلى ساحة الإعدام، كان رجاؤها الأخير أن ترتدى معطفها الفاخر فوق جسمها العارى تماماً، لتلتحف به فى أبهة وجمال ودلال وهى تستقبل فارس الموت.

فظنوها تهرف من هلاك مشرف، وتركوها تفعل ما كانت تأمل، إذ لا ضير ولا خطر.

وكانت هذه آخر محاولة من جانبها للإنقاذ فقد خططت لأن تقف فى ثبات وانكسار فى مواجهة الجنود المكلفين بتنفيذ الحكم. وعندما يصدر الأمر إليهم بالاستعداد لإطلاق الرصاص فيرفعون بنادقهم، تسارع هى بخلع المعطف، فيظهر أمام اعينهم جسمها الجميل العارى الفتان.

فأى رجل لا تهرب منه الشجاعة أو الشهامة فى تلك اللحظة، ويجرؤ على إطلاق الرصاص القاتل المدمر لهذا الحسن المثير المذهل..؟

وعندما سيقت إلى ساحة التنفيذ، وكان الصباح شاتياً باردا يتساقط فيه برد، رفضت أن توضع عصابة على عينيها، وأفلحت

فى إقناع سجانيها بعدم تقييد يديها.

وفى لحظة صدور الأمر إلى الجنود المسلحين باتخاذ وضع الاستعداد، ابتسمت وأشارت بقبلة إلى محاميها والكاهن، ورفعت يدها بالتحية إلى الراهبتين، ثم أسقطت عنها معطفها.

وخاب ظنها، إذ لم يعبأ الجنود بما رأوا، وصدعوا بأمر قائدهم وأطلقوا نيران بنادقهم، فهوى الجسد الذى كانت تهوى إليه نظرات وقلوب الآلاف من عشاقها ومحبيها.

وتقدم نحوها القائد وأطلق «رصاصة الرحمة» وهى طلقة واحدة مصوبة من مسدسه نحو الصدغ.

العجيب، أن هذه الغانية التى كانت تهفو إليها بالأمس القريب أفئدة آلاف المحبين والراغبين والطامعين، والتى كان يغازل حسنها وينشد قربها ورضاها ذوو المال والسلطان، بعدما سقطت جثة خامدة ممزقة، لم يلتفت إليها أحد، ولم يطالب بدفنها سند، فأرسلت إلى كلية الطب بجامعة باريس لدراسة التشريح. ولعلها أفادت بعد موتها أفضل مما أفادت فى حياتها. وإن بقيت بعد الحياة والممات من أشهر الشهيرات الغامضات فى تاريخ الجاسوسية.

وانقسم الناس بعد موتها فى الشعور والتقدير والرأى، واستمر الجدل حولها سنين طويلة، داخل فرنسا وخارجها، ودخلت«ماتا هارى» من بوابة التاريخ لتأخذ مكاناً مجاورا لـ «دليلة[1]» فى العصر القديم، ومدام «بومبادور[2]» فى العصر المتوسط، ثم هى «ماتا هارى» فى العصر الحديث.

---

(١) دليلة: الجاسوسة الغانية اللعوب التى قيل أنها أسلمت شمشون إلى الفلسطينيين القدماء بعد أن قصت شعر رأسه الذى فيه يكمن سر قوته الخارقة.

(٢) مدام بومبادور: اسمها الأصلى «جين انطوانيت بواسون»، ولدت فى باريس آخر ديسمبر ١٧٢١ وكانت جميلة حسناء عشقها الملك لويس الخامس عشر وأهدى إليها قصر «الإليزيه»، وكانت سيدة ذكية مرحة تجيد الغناء والرقص، واصطياد الرجال أيضاً. وماتت فى ١٥ أبريل سنة ١٩٦٤ بمرض السرطان، وقيل أنها ماتت لزهد الملك فيها فى آخريات أيامها وانشغاله عنها بالصبايا اليافعات. وعند دفنها كان المطر ينهمر بشدة، ووقف الملك يشيع نعشها ببصره وهو يقول: «لقد اختارت المركيزة لرحلتها أسوأ جو»!!

# أحـزان بـاندا

لكن .. ماذا عن ابنتها ..؟

عـام ١٩٠١ وضعـت ماتـا هـارى فـى جـاوا Java ابنتـها الوحيـدة ، وأطلقت عليها اسمًا محليًا هو ( بـانـدا [(١)] ) أى زهـرة عبـاد الشـمس ، وبرغم أن الابنة حملت اسم أبيها ، رودلف مـا كلويـد ، فقـد تـردد أنها ابنة لرجـل آسـيوى ارتبطـت بـه ماتـا هـارى ارتباطاً عاطفياً قوياً فى علاقة سرية خارج إطار الزوجية.

أثار هذا الأمر حفيظة ماكلويد ، الذى اضطر إلى نسب الطفلـة إليه حفاظًا على مركزه كضبـاط مستعمرات هولنـدى فـى جـاوا. ومن ثم فقد احتقر زوجته وتعامل معها بمنتهى العنف والقسـوة والإيذاء البدنى والمعنوى.

وأخيرا تـرك لها حـرية البقاء إلى جواره كزوجة بشرط أن تدله على والد الطفلة ، أو الابتعاد عنه نـهائياً ، فاختـارت الهـرب بعيـدًا

---

(١) جاء فى بعض المصادر أن اسمها أيضاً: «نون»..!

عنه احتقارًا وكراهية له بعدما فشلت مرارا فى إقناعه بـأن بـاندا ابنته هو، ومن صلبه.

وعندما أعدمت ماتا هارى رميًا بالرصاص فى فرنسا عام ١٩١٧، لم تكن باندا ذات الستة عشر ربيعًا تعرف أى شئ عن الأحداث التى ألمت بأمها .

ذلك لأنها بقيت فى جاوا ولم تغادرها، وفى عام ١٩٢١ تقريبًا ، عندما بلغت العشرين من عمرها وترعرعت أنوثتها، اكتشفت تفاصيل حياة أمها حتى نهايتها المأساوية ، تلك النهاية العجيبة التى لم تعرفها جاسوسة أوروبية أخرى قبلها، كما حصلت على الرسالة الوحيدة التى تركتها أمها لها قبيل إعدامها.

جاء فى رسالة الأم إلى ابنتها:

- (كثيرا ما أحب أن أقوله لك، وقليل ما أستطيع ان أقول.. إن وقتى يقصر ويتلاشى .. وعما قريب سأكون فى عداد الموتى دون ان أستطيع رؤيتك مرة أخرى.

كنت طفلة صغيرة عندما تركتك مع والدك وغادرت جاوا.. صدقينى.. إنى لم أفعل شيئاً يعد خطأ. ولكن الحرب لها قوانينها

الوحشية.. ولا أمل فـى الرحمـة.. وحتـى أصدقـائى السياسـيون لا يستطيعون مساعدتى هذه المرة.

لقد عشت حياة طويلة طيبة كاملة.. ولعلها لم تكن هانئة سعيدة. فكلتانا لا تعرف عن الأخرى إلا القليل. ولكن خالتك روز كانت ترسل لى دائما كل شئ عنك، وبأنك شابة ظريفة وجميلة.. ولدى صورتك.

كنت صغيرة يا ابنتى حين جئت إلى بيلى وجاوا.. ولم تكن لى معرفة أو خبرة لحداثتى وأحببت والدك، وكان لطيفا أول الأمر ولكن جو المنطقة الحارة، والشراب، وموت ولدنا، احالته إلى ما هو عليه الآن.

وذات مرة كاد يقتلنى وعندها تركته والآن سيقتلنى غيره.

أعرف أنه ما كان ينبغى أن أترككم .. وحاولت كثيرا أن أضمك لحضانتى وفشلت فى ذلك.. ولكن لعلك ستلاقين فى المستقبل حياة أفضل بدونى.

سأتقبل الموت بشجاعة، وأفكر فيك.. كنت لى يا قرة عينى كل ما أملك فى الحياة..

ولكننى لم اعن بك. المال وحده لا يكفى.

هل تصلين من أجلى..؟

هل تذكريننى كامرأة ارادت أن تصنع ما هو حق ..؟

لكن الحياة والظروف كانا اقوى منى.. فالوداع يا ابنتى .. اسعدى فى حياتك واسعدى بها دون ان تكرهينى.).!!

أمك مارجريت جيرتراودزيل ـ ماكلويد

حزنت باندا كثيرًا على ما آل إليه مصير أمها ، فتجرعت المعاناة وضربت أعماقها محنة الحقيقة المؤلمة.

وبعد ترنح طويل قررت أن تنسى كل تلك الأحداث ، خاصة وأنها قد تزوجت من رجل أندونيسى كهل ثرى، سرعان ما توفى مخلفًا لها ميراثا مدهشًا من الأموال والأراضى والعقارات ، ومن بينها قصرًا فخيماً فى جاكرتا Jacarta يطل على بحر جاوة ، وآخر فى بوجور Bogor على مسافة ٨٥ كيلو مترًا جنوبى جاكرتا.

# التهديد بالقتل

لكل ذلك وجدت باندا نفسها وقد انغمست فى الحياة الاجتماعية والأدبية للمجتمع الأندونيسى ، ووجدت فى حياتها الجديدة أسباب السلوى والتلهى عن أحزانها بسبب نهاية والدتها الدراماتيكية المؤلمة.

فكان أن انخرطت فى حياتها الجديدة بكل جوارحها ، تحظى بالاحترام والتبجيل الشدديدين من الأندونسيين ، وترتبط بعلاقات وثيقة بالأثرياء ورموز المجتمع والعديد من العسكريين والساسة .

بيد أن الأمور ازدادت سوءاً فى أندونسيا مع الاحتلال اليابانى لجاوا[1] وطرد الهولنديين ، إذ طلب منها رجال الاستخبارات

---

(١) بإعلان اليابان الحرب على الولايات المتحدة وبريطانيا، وهجومها على الأسطول الأمريكى فى ميناء بيرل هاربور فى ١٩٤١/١٢/٧ ، تكتسح القوات المسلحة اليابانية منطقة الشرق الأقصى. فما بين ٨ ، ٢٥ ديسمبر ١٩٤١ نزل اليابانيون جزر «جلبرت»، و«الفيلبين» و«لوزون» ، و«ميندااواو» ، و«ماريان» ، ثم احتلت «بانكوك»، و«هونج كونج» التى استسلمت حاميتها البريطانية. وفى ٢٨ فبراير ١٩٤٢ نزل اليابانيون إلى «جاوا» وفى ٧ مارس يحتلون كل أندونيسيا وتستسلم آخر الوحدات الهولندية فى جاوا فى ٩ مارس. وفى ٦، ٩ أغسطس ١٩٤٥ قنبلتان ذريتان أمريكيتان تلقى اولاهما على هيروشيما والثانية على نجازاكى وتبدأ الهزائم اليابانية، ثم الاستسلام النهائى للحلفاء، وتوقيع وثيقة الاستسلام فى سبتمبر ١٩٤٥.

اليابانية التعاون معهم ضد الثوار الوطنين ، الذين كانوا يكبدون القوات اليابانية خسائر يومية فى الأفراد والمعدات لا حصر لها ، ويقطعون الطرق الاستراتيجية لمنعها من التحرك بسهولة .

فى تلك الأثناء كانت باندا ترتبط بعلاقة حب قوية بالزعيم الثورى البارز ( عبد الله سوابو[(١)] )، أحد أشهر من خططوا لإعاقة حركة الجيش اليابانى المحتل وضرب قواعده ومخازنه فى أندونيسيا.

ولما أسرت إليه باندا بأن سلطات الاحتلال هددتها بالإعدام رميا بالرصاص، مثل أمها ، بتهمة التجسس[(٢)] لصالح الهولنديين ، فى حالة عدم تعاونها معهم لكشف رموز المقاومة الشعبية ، وخططها ، طلب منها مجاراتهم.

استهجنت باندا رغبته وغضبت منه، لكنه أقنعها بأن ذلك من الضرورى للغاية، فى سبيل إنقاذ حياتها من ناحية ، ومن أجل الانتقام منهم من ناحية أخرى بسبب ما ارتكبوه من مذابح بحق

---

(١) هكذا جاء اسمه فى بعض المراجع التى كتبت عن باندا ماكلويد، دون أية إضافات أخرى عن رجل قيل عنه انه كان ثوريا وله بصمات واضحة على حركة المقاومة الوطنية.

(٢) قيل بأن أحد أعمالها كان يعمل لصالح اليابانيين، وأنه هو الذى زارها وهددها بإفشاء تاريخ أمها، طالبا منها أن تتعاون معه كأمر لا يقبل التفكير أو الرفض، فانصاعت لرغبته.

الأسرى الهولنديين ، وما استولوا عليه من أموالها الموروثة ، وكذا بسبب احتلالهم قصرها الفخيم في جاكرتا وإتلاف محتوياته الثمينة القيمة، وسرقة اللوحات الفنية التي تزين جدرانه.

## الجاسوسة التي تغابت

هكذا تقابلت رغبة الانتقام من اليابانيين عند الطرفين، ومنذ تلك اللحظة اقتحمت باندا عالم الجسوسية من أوسع أبوابه وكانت مؤهلاتها ذكاء حاد نادر، وجسد فتان مثير لاهب.

وخلال فترة وجيزة تحولت الابنة إلى أسطورة في الإثارة والجنس كأمها ، ذلك أن كبار الضباط من اليابانيين غرقوا في عشقها حتى الثمالة ، وعلى فراشها تحررت الألسنة من عقالها ، فكان حديث الوسادة يفيض بأخطر أسرار الجيش الياباني وتحركاته على الجزيرة، مما أوقع به خسائر فادحة وأنقذ الثوار من هجمات انتقامية موجعة. حتى أن البعض من المحللين يعزى إلى باندا الفضل في كشف أعداد القوات اليابانية ، ونقاط تمركزها الرئيسية في جاوا، وتسليحها.

وكان أثر هذه المعلومات مدهشًا للغاية ، ومفيدًا للبريطانيين ، الذين تمكنوا سنة ١٩٤٥ من سحق اليابانيين فوق الجزيرة ،

وإجبارهم على الانسحاب.

وبخروج المحتل اليابانى من جاوا فى أغسطس ١٩٤٥ .. حصلت باندا على خطة الهجوم الهولندى على جاوا[١] وساعة الصفر فى ١٩ ديسمبر ١٩٤٨.

وهكذا عاد الاحتلال الهولندى من جديد ، وارتعشت حياة «باندا» وهى تحاول أن تفاضل بين حبيبها ، سوابو، والقوات الهولندية التى تنتمى إليها.

وبعد معاناة شديدة اختارت حبيبها وتجسست على قوات وطنها لصالح الثوار ، مضحية بجسدها مرة أخرى من أجل الحصول على معلومات مفيدة لرجال الثورة ، فاشتدت ضربات المقاومة ضد الهولنديين ، وحمى وطيس المعارك ، حتى سقط (عبد الله سوابو) قتيلاً وهو يدافع عن أرضه ووطنه .

وبرغم الحزن الذى خيم على حياتها، لم تتوقف باندا عن مزاولة التجسس ، وكانت تظن بأنها امتداد حقيقى لوالدتها ، لكنها كانت أذكى وأجرأ، فعملت على الدعاية فى الخارج لاستقلال أندونيسيا مستغلة لغتها الإنجليزية المتقنة، وملامحها الجذابة،

---

(١) تكتب هكذا أيضا بلا خطأ كما جاء فى العديد من الكتب والمصادر والأطالس.

وقامتها الرشيقة خير سبيل لها فى دعايتها. فتدفقت على أندونيسيا المساعدات والأسلحة اللازمة لحرب الاستقلال.

وفى خطوة جريئة، تعاونت باندا مع المخابرات المركزية ضد الصين ، وذلك بعد رحلة تدريب طويلة على فنون التجسس، حيث أرسلت إلى بكين وشنغهاى ، وأعدت تقاريرا وافية عن حركة المد الشيوعى فى جنوب شرق أسيا. وبلغت بها الكفاءة أوج الشهرة عندما أبلغت بأن كوريا الشمالية ستهاجم كوريا الجنوبية بمساعدة السوفييت والصين، لكن لا أحد صدق ذلك حتى صح ما توقعته.

ولما اشتبهت المخابرات الكورية الشمالية فى نشاطها حاولت استمالتها، لكن الجاسوسية المدربة تغابت .

# وريثة الضياع

بيد أن الكوريين لم ينخدعوا فى براءتها ، وعرضوها لتعذيب شديد لم تستطع وقد بلغت الخمسين من عمرها أن تتحمله ، فاعترفت لهم بكل شئ عن نشاطها التجسسى منذ البداية ، حتى رحلتها الطويلة الأخيرة إلى الصين لكشف مدى قوة ثورة الزعيم (ماو تسى تونج).

وعن ظروف القبض عليها فى كوريا الشمالية، قيل بأن أحد جواسيسها واسمه «مانو»، وكان خادماً فى قصر الحاكم فى «باتافيا» وساعد فى حركة التحرير بإندونيسيا، عاد مع كثيرين غيره إلى بلاده بعد أن تحقق الشيوعيون من أن الحركة فى إندونيسيا حركة وطنية، وليست شيوعية. فصدرت الأوامر إليه لكى يعود إلى بلاده الأصلية ، كوريا، وأصبح الجاسوس السابق يعمل فى الجيش الأحمر، فوشى إلى رؤسائه بأمر«باندا ماكلويد» التى تعرف عليها فى كوريا، فقبض عليها.

قدمت باندا إلى المحاكمة العسكرية بملف اعترافاتها ، ووصمت بأنها توارثت البغاء والتجسس عن أمها ، وأن الأقدار تسوقها بقوة

لتشهد مصير أمها ، لتكون حادثة فريدة مثيرة لم يشهدها تاريخ التجسس من قبل .

كانت الأدلة ضدها كافية لأن تنال حكمًا بالإعدام . وراودها أمل كاذب بأن الولايات المتحدة الأمريكية ستسعى للإفراج عنها بصفتها جاسوسة كانت تعمل لصالحها .

لكن الواقع كان مؤلمًا حقًا . فقد أنكرت واشنطن أية صلة لها بالجاسوسة الهولندية ، ورفضت هولندا أيضاً بذل مساعيها لإنقاذها من براثن الكوريين.

وفى الرابع والعشرين من مايو سنة ١٩٥١ ، اقتيدت «باندا ماكلويد» إلى ساحة السجن العسكرى فى (هامهونج) Hamhung شرقى كوريا الشمالية ، وهو بالأصل قلعة قديمة بنيت على سفح جبلى يطل على بحر اليابان ، حيث كان بانتظارها هناك فريق جنود مكون من أحد عشر عسكرياً مسلحاً..عندئذ .. أيقنت باندا بأن الجميع تخلوا عنها.. وفقدت بذلك آخر أمل لها فى محاولة إنقاذها.

وفى صوت مرتجف يغلفه الرجاء توجهت بالحديث إلى المترجم وطلبت منه أن يأذنوا لها بكتابة رسالة سريعة. وبعد مداولة

سريعة مع قائد القوة العسكرية وافق على طلبها، وجئ لها بالورق والقلم..

وتساءلت باندا فى نفسها: لمن ستكتب رسائلها..؟ إنها لم تترك أولادا.. ومات والدها بالسرطان .. وأعدمت أمها بالرصاص.. وعمها إنسان وصولى يتعاون مع اليابانيين.. ويبيع ضميره وشرفه للشيطان من أجل المال..

لا أحد الآن يهمه أمرها بعد أمها وحبيبها سوابو.

عند ذلك قذفت بالأوراق والقلم.. ووقفت فى مواجهة فريق الإعدام ثم مزقت سترتها وكشفت عن صدرها وهى تصيح فيهم أن يطلقوا رصاصتهم.

فاستعد رجال الفريق.. وما إن صاح قائدهم آمرا حتى أطلقوا الرصاص على منتصف ثديها العارى.

وعندما انكفأ رأسها الحليق إلى صدرها ، سارع أحد الضباط وأطلق رصاصة واحدة، كانت هى رصاصة الرحمة التى اخترقت الجمجمة وسكنت بالداخل ، مؤكدة موت «باندا» ساحرة العقول، وريثة الخيانة والضياع والدم[1] !!

---

(١) أنظر أيضا كتابنا: «رصاصة الرحمة.. اللحظات الأخيرة فى حياة الخونة والمشاهير» عن دار أطلس للنشر بالقاهرة.

# آن بيلين مونتيز



كانت المسئولة الأولى عن الملف الكوبى داخل الاستخبارات العسكرية الأمريكية، والمحللة السياسية الخبيرة فى الشئون الكوبية، ويعزى الموقف الأمريكى الذى اتسم بالتسامح تجاه كوبا إلى تقاريرها التحليلية، وما كان ذلك إلا بفضل علاقة عاطفية ربطتها بشاب كوبى حوّلها إلى جاسوسة تعمل ضد بلدها ..!!

# معامل السموم

شهدت المحاكم الأمريكية فى نهاية عام ٢٠٠٢ أول محاكمة فريدة من نوعها، إذ وجهت للمواطنة الأمريكية «آنا بيلين مونتيز[1]» - ٤٥ عاماً - التى تتولى منصباً رفيقاً فى الاستخبارات العسكرية، تتهمة التجسس من قلب وكالة الاستخبارات لصالح جهاز استخبارات كوبا.

وكان من المنتظر أن تدفع الآنسة آنا بيلين التهمة عن نفسها، فإذا بها تعترف وتعلن أمام القاضى:

- «نعم ... لقد تجسست لصالح كوبا .. إننى قمت بهذا العمل نتيجة التزام أخلاقى ، واستجبت بهذا لضميرى لاعتقادى أن سياسة حكومتنا تجاه كوبا غير عادلة .. وغير منطقية، ومنها فرض حصار على كوبا دام أربعين سنة» .

كان الرئيس الكوبى فيديل كاسترو قد تعرض لمحاولات اغتيال عديدة بواسطة الاستخبارات المركزية C.I.A ، لكنه نجا من كل هذه المحاولات بفضل فطنته وكفاءة رجال استخباراته الذين

(١) محمد الشرف خليفة مجلة «المرأة اليوم» الإماراتية، العدد ٩٨ الصادر فى ٢١ يناير ٢٠٠٣.

يدركون رغبة الولايات المتحدة فى التخلص من كاسترو ونظامه.

ولد فيديل كاسترو فى الثالث من أغسطس عام ١٩٢٧ من أصل إسبانى، وحصل على إجازة فى الحقوق من جامعة هافانا وعمل محامياً، ثم درس الاقتصاد والعلوم السياسية وحصل على الدكتوراه عام ١٩٥٠ ، وعاد إلى المحاماة حيث اشتهر بتبنى قضايا الفقراء ضد الملاك الأثرياء، ونجح فى الحصول على عضوية البرلمان الكوبى.

ونظرا لثوريته، نفى إلى المكسيك ثم سافر إلى نيويورك حيث جمع حوله المهاجرين والثائرين، وعاد سرا إلى هافانا ليواصل نضاله ضد الحكم الدكتاتورى فى بلاده حتى نجحت ثورته عام ١٩٥٩، وأعلن برنامجاً على الأسس الماركسية لتطوير الاقتصاد الكوبى، مما أغضب واشنطن، وبدأت تحاك الخطط داخل الـ C.I.A من أجل اغتياله.

وفى لقاء مع السناتور الأمريكى جورج ماكجفرن فى أغسطس ١٩٧٥ ، قال له كاسترو أنه تعرض لعشرات المحاولات لاغتياله، وعدّد له ٢٤ محاولة وقعت إحداها يوم ٢٢ نوفمبر ١٩٦٣، وهو اليوم الذى اغتيل فيه الرئيس الأمريكى جون كيندى فى لاس دالاس.

ففى هذا اليوم قدم ضابط مسئول فى الـ C.I.A قلماً مسموماً إلى احد الكوبيين العملاء لاغتيال كاسترو، وكانت هناك محاولات أخرى عديدة وعجيبة لتحطيم هيبة كاسترو وشعبيته أمام الجماهير عن طريق تلويث حذائه وثيابه بغبار يؤدى إلى سقوط سريع لشعر لحيته.

وبفشل جميع هذه الخطط، فكرت الـ C.I.A فى الاعتماد على النساء الحسناوات للوصول إلى عقل وقلب كاسترو وتصفيته. فوضعوا فى طريقه الجاسوسة الفائقة الجمال الألمانية «ماريا لورنز» التى أحبها كاسترو وجعلها تعمل فى مكتبه كمترجمة، وتقيم معه فى نفس جناحه بفندق هيلتون حيث كان يعيش بالطابق الـ ٢٤.

ومن ثم تمكنت لورنز من الاستيلاء على العديد من الوثائق الهامة والخرائط، تلك التى كان من بينها خرائط مفصلة لمواقع سرية للغاية نصبت بها الصواريخ السوفييتية فى كوبا، وكادت تندلع بسببها الحرب بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفييتى وهو ما عرف باسم «أزمة الصواريخ».

كانت هناك أيضاً محاولات لا حصر لها لاغتيال كاسترو بواسطة

السم[1] ، و محاولات قصف المنصة التى كان سيرتقيها ليلقى خطابه، وتسميم سيجاره المفضل بمادة «توكسين البلوتونيوم» ، وكذا تسميم أكواب الشراب التى كان يستخدمها فى أحد المطاعم الكوبية، وتفجير المغطس المفضل له بواسطة زرع ألغام داخل الأصداف البحرية الموجودة فى قاع المسبح، وأيضاً تسميم بدلة الغطس وأدوات التنفس، كذلك رش غرفة الأستوديو بالإذاعة الكوبية بمسحوق سام يصيب كاسترو بالهذيان والهلوسة وهو يلقى خطابه.

إلا أن جميع هذه المحاولات فشلت فشلاً ذريعاً، بما فيها محاولة اغتياله بواسطة قذيفة بازوكا تطلقها طائرة هليوكبتر على الطابق الـ ٢٤ بفندق هيلتون الذى يقيم فيه، بيد أن الطائرة أسقطت بعد دقائق من تحليقها بالقرب من الفندق.

(١) سعيد الجزائرى: حرب المخابرات (ملف الثمانينات) . دار الجيل - بيروت ١٩٨٩.

## بدافع الحب

هكذا حظى المناضل الثورى فيديل كاسترو بإعجاب الفتاة الأمريكية «آنا بيلين مونتيز» ، المسئولة عن الملف الكوبى فى الاستخبارات العسكرية الأمريكية، التى تعرف أيضاً بـ «وكالة استخبارات الدفاع D.I.A» .

وهى الوكالة التى أنشأها وزير الدفاع الأمريكى «روبرت ماكنمار» عام ١٩٦١ ، والمسئولة عن مخابرات وحدات الجيش: A-62 ، والبحرية N ، والطيران : A – 2 ، وهذه الوكالة تنفق الجزء الأكبر من ميزانية الأمن القومى، وتعد المنافس القوى لوكالة الاستخبارات المركزية C.I.A ، إلا أنها تعمل معها بالتعاون مع مجلس الأمن القومى[١] .

يقول محمد المشرف خليفة فى مصدره السابق ذكره :

ولدت آنا بيلين مونتيز فى ٢٨ فبراير ١٩٥٧ فى قاعدة نورنبيرج العسكرية فى ألمانيا، حيث كان يعمل والدها طبيباً

---

(١) إبراهيم العربى: التقارير السرية للمخابرات الأمريكية ـ المركز العربى للنشر والتوزيع ، الاسكندرية ـ القاهرة «بدون تاريخ إصدار»

نفسياً فى الجيش الأمريكى، ثم انتقلت مع عائلتها إلى أمريكا بعد استقالة والدها، حيث عاد وافتتح عيادة نفسية فى ضواحى بلتيمور Baltimore شمالى واشنطن.

وكانت الأسرة ميسورة الحال، مما أتاح لأطفالها - وتكبرهم آنا بيلين- تعليماً راقياً ، وإن ظلت العائلة متمسكة بأصولها التى تعود لأمريكا اللاتينية.

وكانت الأم تعمل فى مكتب تحقيقات مناهض للعنصرية فى مجتمع يضم أقليات من الكوبيين والبورتوريكيين والأسبان وغيرهم من الأقليات.

ويبدو أن آنا بيلين مونتيز تأثرت بهذا الوسط قبل انتقالها للدراسة عام ١٩٧٧ فى جامعة «فرجينيا» التى تخرجت منها عام ١٩٧٩، حيث حصلت على درجة البكالوريوس فى الشئون الخارجية.

ثم انتقلت إلى واشنطن وهناك التحقت عام ١٩٨٢ بجامعة «جون هوبكنز» للحصول على درجة الماجستير، وركزت فى دراستها على أمريكا وسياستها الخارجية، ثم انخرطت عام ١٩٨٥ فى العمل فى وكالة الستخبارات العسكرية « D.I.A » كمحللة

لشئون نيكارجوا.

وفى هذا العام أيضا، ١٩٨٥، أحبت شابا كوبيا على ما يبدو، وبدأت الاتصالات بالاستخبارات الكوبية بدافع تعاطفها مع الزعيم كاسترو والشعب الكوبى. وجاء هذا فى حديث لوالدتها فيما بعد حيث قالت:

ـ «إن ابنتى لم تتجسس لصالح المخابرات الكوبية من أجل كاسترو، وإنما لرؤيتها ومعايشتها للكوبيين عندما كانت آنا مونتيز مازالت بعد صغيرة ومثالية، وكانوا فى كوبا يعيشون فى مستوى معيشى متدن» .

لعل هذا كان السبب ... أو الدافع ...!!

إلا أن مصادر عديدة أكدت أن دافعها للتجسس كان نتيجة ارتباطها عاطفيا بزميل دراسة كان كوبيا مؤمنا بنظام بلاده، ومحبا لزعيمه فيديل كاسترو، مما لفت انتباهها إلى كوبا فتعاطفت مع شعبها ومعاناته.

ويبقى سر هذا الشاب مجهولا، حيث لم تشر إليه آنا بيلين مونتيز من قريب أو بعيد.

وهو ما يرجح أن العملية من بدايتها قادها شاب هو بالأصل

ضابط استخبارات كوبى، استطاع التأثير عاطفيا على الفتاة الرقيقة، ودفعها دفعاً للالتحاق بالعمل فى قلب الاستخبارات العسكرية، وأمدته هى بكل ما كان تحت يديها بدافع الحب والإيمان بقضية الكوبيين.

هذا الرأى يدافع عنه أكثر الأصوات تشددا فى الاستخبارات الأمريكية .

كان ذلك لسبب بسيط جدا، وهو أن التدريبات الأمنية المختلفة التى حصلت عليها «آنا مونتيز»، كانت تدريبات استخبارية تتبع الأسلوب الكوبى فى التجسس، بما يؤكد أن هناك عملية تجنيد ذكية جدا تمت للفتاة بدعوى الحب، ثم بدأت الأسرار المخابراتية الأمريكية تتسرب بعدها إلى هافانا.

# استفهامات بلا إجابة

لكن ..

سواء أكانت «آنا بيلين مونتيز» ضحية عاطفة قوية، أو محبة لكاسترو، فقد كانت على كل حال مشروع ثائرة أو متمردة صغيرة، استطاعت بعد تلقيها نصيباً من التعليم أن تتسلق سلم الاستخبارات العسكرية، حيث أصبحت المسئولة الأولى عن تحليل القضية الكوبية.

لقد كانت كتومة حتى مع أعز صديقاتها، وبدت مصدر ثقة للجميع، بمن فى ذلك رؤساؤها، لدرجة أن «مونتيز» كان مسموحاً لها عن طريق شبكة الكمبيوتر، أن تدخل وتطلع على ملفات ٦٠ جهازا للاستخبارات، منها العسكرى والمدنى، وجميعها لديها صلة بجمع المعلومات السرية وتحليلها.

ويقول مصدر أمنى:

ـ «كان لها حق التعرف على كل شئ، فهنا نحن نتحدث عن برامج تكلفت ملايين الدولارات، وكان بإمكانها الحصول على كل ما تريد من معلومات سرية » .

وفى عام ١٩٩٩ كانت المسئولة عن تقديم دراسة موجزة عن مشروع مناورة عسكرية وهمية حول كوبا، مما وضع تحت يدها معلومات حول ما يمكن فعله أمريكيا إذا ما حدث اضطراب «مثلاً» غير متوقع فى الجزيرة.

ويقول مسئول فى وزارة العدل الأمريكية:

ـ إن بعضهم يحاول معرفة مدى الضرر الذى سببته «مونتيز» ، وأحدثته بما نقلته من أسرار إلى الاستخبارات الكوبية.

مؤكدا على أن «مونتيز» بدأت العمل الفعلى فى الخدمة السرية الكوبية عام ١٩٨٥.

ويؤكد المسئول الأمريكى:

ـ أن «مونتيز» أبدت تعاونا مع المحققين، ولكن ما لم يتم الكشف عنه حتى الآن هو:

- هل بادرت هى بنفسها ، طواعية ، وتقدمت للخدمة السرية الكوبية، عارضة خدماتها الاستراتيجية عليها ؟

أم هل اضطرت للتجسس لسبب غير معروف..؟

أم تراها جُندت بعد أن لمسوا منها تعاطفاً..؟

لكن المؤكد ، كما يقول المسئول رفيع المستوى:

- إن الدافع للتجسس كان عاطفياً !!

هكذا كان غموض قضية التجسس يبدو مثيرا، وهو ما جعلها مختلفة عن غيرها من القضايا.

فالمتهمة كانت المسئولة الأولى عن الملف الكوبى داخل الاستخبارات العسكرية باعتبارها محللة سياسية وخبيرة فى الشئون الكوبية .

وهى أيضا التى تتولى الكتابة عن السياسة الأمريكية تجاه كوبا، ويعزى الموقف الأمريكى الذى اتسم بالتسامح تجاه كوبا عام ١٩٨٨ إلى تقرير مونتيز، التى أكدت فيه أن كوبا لا تشكل تهديدا للولايات المتحدة الأمريكية.

# منجم الذهب

ويقول محمد المشرف خليفة :

لقد حاولت آنا مونتيز أن تقنع المحكمة بأنها تجسست لصالح كوبا لأسباب سياسية «وربما أيديولوجية»، حتى أنها لم تتلق أى مقابل مادى عن عملها.

وهذا ما يجعلها مختلفة عن العميل «إيميس» الذى كان يتولى بدوره منصباً رفيعاً فى الـ C.I.A ، حيث اعترف بأنه تلقى أموالاً من روسيا مقابل تجسسه لصالحها، مما أتاح له شراء سيارة جاجورا ومنزل بحوالى نصف المليون دولار.

وسبق مونتيز أيضاً الجاسوس السوفيتى «روبرت فيليب هانسون» الذى كان يتولى منصباً عالياً فى مكتب التحقيقات الفيدرالى «F . B . I» واعترف بأنه تلقى من الروس مليوناً ونصف المليون دولار على هيئة أموال وأحجار كريمة.

وبدت قضية مونتيز مثيرة جدا للجدل والتحليل، لأن التحقيق معها لم يسفر عن إيجاد سبب واضح لتجسسها.

فهى لم تكن واقعة تحت أية تهديدات أو ضغوط نفسية، كما أنها لم تتعامل مع الكوبيين من أجل المال أو الجنس أو أى شئ محدد سوى ما قالته عن أنها فعلت ذلك لتعاطفها مع الشعب الكوبى، وتأثرها بقصة نضال الزعيم فيديل كاسترو.

لكن لماذا تجسست آنا بيلين مونتيز ..؟

ومقابل ماذا أعطت الكوبيين أسرار الاستخبارات العسكرية الأمريكية وملفاتها..؟

يقول «ديفيد ميجر» الضابط السابق فى مكتب التحقيقات الفيدرالية (F.B.I) ونائب رئيس مركز دراسات الأمن ومحاربة التجسس فى أمريكا حالياً:

ـ «إن تجنيد كوبا لعميل أمريكى، هو المكلف تقريباً بكتابة سياسة الولايات المتحدة تجاه كوبا.. عميل بهذا الثقل والأهمية القصوى، فى جهاز استخباراتى بهذه الخطورة، يعنى أن كوبا قد اكتشفت منجماً من الذهب».

ويقول ممثل الاتهام فى قضية مونتيز :

ـ «إن المعلومات التى حصلت عليها كوبا من الجاسوسة آنا

بيلين مونتيز من الحساسية بمكان ، بحيث لا يمكن ذكر تفاصيلها أمام المحكمة.

والمعروف من ملفات المحاكمة أن مونتيز قدمت معلومات عن مناورات لحلف الناتو السرية، وملفات سرية تتصل بالمسألة الكوبية ، وصورا ووثائق مهمة، كما كشفت عن أربعة عملاء كوبيين يعملون لصالح أمريكا داخل كوبا».

وكان ضابط مكافحة الجاسوسية ستيفن ماكوى قد قال فى شهادته أمام المحكمة بعد أن أدى القسم :

ـ « إنى أعمل عميلاً متخصصاً فى مكتب التحقيقات الفيدرالى منذ أكثر من عشرين عاماً، قضيت خمسة عشر عاماً منها فى الاستخبارات فى قسم مكافحة الجاسوسية، و ١٢ عاماً فى الشئون المتصلة بكوبا.

ولهذا فإننى أعرف أسلوب المخابرات الكوبية والاستراتيجية والتكتيك، ووسائل التعامل التى يتخذها عملاء كوبا وطرق اتصالاتهم.. وقد كلفت بمتابعة المتهمة آنا بيلين مونتيز وتحركاتها وعلاقاتها.! » .

# غير نادمة

بدأت المراقبة العملية منذ شهر مايو إلى شهر سبتمبر عام ٢٠٠١م، واتضح أن مونتيز تغادر منزلها وتدخل أحد المتاجر وتخرج من الباب الآخر ثم تتحدث فى هاتف عمومى من بطاقة مدفوعة الثمن لثوان معدودة، ثم تترك المكان وتذهب لمنطقة أخرى وتدخل أحد المتاجر بعد أن تترك سيارتها، وتخرج من الباب الآخر وتتجه إلى هاتف عمومى وتتصل ثانية ثم تعود لمنزلها ..

وهكذا دواليك..

وقد اتضح أن هذا الأسلوب تتبعه الخدمة السرية الكوبية فى الاتصالات وتلقيها من عملائها ، حيث يجرى نقل رسالة مشفرة للعميل أو منه بمجرد الاتصال برقم معين هاتفياً، ولا تأخذ الرسالة وقتاً طويلاً، لأن المخاطبة تكون بأرقام لها دلالاتها عند وضعها فى برنامج كمبيوتر معد سلفاً لهذا الغرض.. وأحياناً من خلال الاستماع لموجة معينة فى الإذاعة.

وبمتابعة تحركات مونتيز واتصالاتها المتعددة اكتشف ضابط

مكافحة الجاسوسية ستيفن ماكوى ـ كما جاء فى شهادته ـ أن مونتيز عميلة كوبية تتعامل بأسلوب الخدمة السرية الكوبية نفسه عندما تتصل بالضابط المكلف بتسلم رسائلها من المخابرات الكوبية.

وخلص الضابط ماكوى فى شهادته من خلال الأدلة التى حصل عليها، وخاصة منذ الخامس من أكتوبر عام ١٩٩٦، وإلى اليوم الذى أدلى فيه بشهادته، إلى أن آنا بيلين مونتيز تآمرت وتعاونت ، برغبتها ، مع أشخاص معروفين وآخرين مجهولين فى نقل أسرار ومعلومات تتصل بالأمن الدفاعى الأمريكى، يمكن استخدامها للأضرار بأمريكا لصالح كوبا .

وقال ماكوى فى النهاية :

ـ إن مونتيز ، وللأسف الشديد ، نقضت القسم الذى أدته ويؤديه كل من يؤتمن على أسرار الدولة، والوثيقة الأمنية التى يوقعها كل من يسمح له بالحصول على مثل هذه المعلومات التى تعتبر فى غاية السرية..

تم توجيه تهمة التجسس لصالح دولة أجنبية لمونتيز بعد إلقاء القبض عليها، كما صدر أمر بتفتيش شقتها فى ٣٠٣٩ ـ شارع

ماكومب فى واشنطن، ومكتبها الحكومى فى وكالة الاستخبارات العسكرية، وسيارتها «تويوتا، إيكو حمراء اللون، رقم ..» ، وصندوق الإيداعات الخاص بها رقم ٥٢٦ فى أحد البنوك .. وذلك لإثبات التهمة الموجهة، وإن أمكن أسباب ذلك.

كانت أسرة مونتيز أسرة عادية ، فقد تبين أن الأخ الأصغر يعمل فى مكتب التحقيقات الفيدرالية (F.B.I) فى أطلانطا، كما أن شقيقتها تعمل مترجمة فى مكتب التحقيقات الفيدرالية (F..B.I) فى جنوب فلوريدا، وقد سبق لها أن كشفت خلية سرية كوبية قبل عام مضى، ومع هذا لم تدر أن شقيقتها الكبرى مونتيز عميلة لكاسترو..

إيميليا مونتيز والدة آنا مونتيز بعثت برسالة للصحافة تقول فيها:

- «لا نتفق مع ما فعلته ابنتنا ولكننا نحبها كثيرا، وهى ابنتى الكبرى، وهى ابنة طيبة لم يحدث من قبل أن سببت لى صداعا، وهى لا تزال بخير، ولقد أرادت أن تفعل خيرا ولكنها سلكت الطريق الخطأ للتعبير عن شعورها» ..

القاضى كان له رأى آخر، إذ لم يكن هذا القاضى ـ ريتشارد

أوربينا ـ متعاطفاً مع المتهمة وإن قبل الاستماع لوجهة نظر الدفاع.

ولهذا قال موجهاً حديثه إليها قبل النطق بالحكم:

ـ «إذا لم تكونى تحبين وطنك، فإن عليك على الأقل ألا تفعلى ما يضر بهذا الوطن، ولكنك قررت أن تفعلى هذا بكامل إرادتك ، وعليك الآن أن تعلنى ندمك ، وتدفعى ثمن هذا الخطأ» !!

وأصدر القاضى حكمه على آنا بيلين مونتيز بالسجن لفترة ٢٥ سنة .. لإصرارها على أنها «غير نادمة..» .

## كتب صدرت للمؤلف عن دار أطلس

- حراس الهيكل .. عمليات الموساد الخارجية فى نصف قرن ـ الجزء الأول : الخطف .
- حراس الهيكل .. عمليات الموساد الخارجية فى نصف قرن ـ الجزء الثانى : الاغتيالات
- حراس الهيكل .. عمليات الموساد الخارجية فى نصف قرن ـ الجزء الثالث : الفضائح .
- رصاصة الرحمة .. اللحظات الأخيرة فى حياة الجواسيس .
- قصتى مع الموساد .. مذكرات جاسوس الإسكندرية .
- الملازم أول دينا عمر .. جندها زوجها فجندت أولادها الثلاثة .
- البكاء الصامت : دراسة سيكولوجية عن دموع العظماء .
- جاسوسات عاشقات .. خلدهن الحب وحقرهن التاريخ (سلسلة من ٢٠ جزء ) .


تطلب جميع أعمال الكاتب من :

أطلس
للنشر والإنتاج الإعلامى

٢٥ شارع وادى النيل ـ المهندسين ـ القاهرة
تليفون : ٣٠٣٩٥٣٩ ـ ٣٠٢٧٩٦٥ ف: ٣٠٢٨٣٢٨
E-mail: atlas@innovations-co.com




تتشرف أطلس للنشر والإنتاج الإعلامى بتلقى أى آراء أو تعليقات على الكتاب سواء للدار أو للكاتب على :

تليفون : ٣٤٦٥٨٥٠ ـ ٣٠٢٧٩٦٥ (٢٠٢) فاكس : ٣٠٢٨٣٢٨

E-mail: atlas@innovations-co.com